

### ٣ - كيف كان الصحابة يتلقون السنة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

ما كان الإيمان يخالط قلوب المسلمين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وينير سبلهم - حتى عرفوا عظمة الإسلام . فانكبوا ينهلون من القرآن الكريم : ذلك المعين الذي لا ينضب بعد أن رأوا فيه المعجزة الكبرى والهداية المظلمى وامتلت قلوبهم حبا لله ورسوله عليه الصلاة والسلام ، فتفانوا في الدفاع عن مبادئهم وحماية قائدهم ومعلمهم ، حتى إن الرجل منهم ليفديه بماله ودمه وولده . لقد تحولت جميع قوام القطرية ، وفضائلهم الطبيعية ، وحيوياتهم الدائمة ، وتضافرت للمحافظة على الإسلام ونشره ، وإن التاريخ ليحفظ تلك المفاخر الخالدة من التضحيات العظيمة النادرة ... فإذا ما دعت الحاجة إلى المال سارع المسلمون متنافسين في تقديم أموالهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا يتبرع بثلث ماله ، وذلك بنصف ماله ، وآخر بماله كله ... 11 وقد تضيق الحال بالمسلمين أنفسهم ، فبصرى عثمان رضى الله عنه يهب قافلته التجارية القادمة من الشام للمسلمين ، ويأبى أن يبيعهما بالمبالغ المترية التي عرضت عليه ويقول : دفع لي بها أكثر من ذلك .

وقد بذلوا نفوسهم للذود عن حياض الإسلام ، وفدوا الرسول صلى الله عليه وسلم بأرواحهم فإذا ما نزل بهم الخطب في غزوة أحد رأيتهم يتساقبون للدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أبو دجاجة يحمل ظهره ترسا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أمتخته الجراح ، وإلى جانبه علي يذب عنه بسيفه ، وسعد بن أبي وقاص يرمى بقوسه حتى كتب لهم النصر .

هذه نماذج قليلة لتفاني الصحابة وبذلهم في سبيل عقيدتهم ودينهم وبهذه الروح السامية والحيموية الدائمة أقدموا على تلقي العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان الصحابة يتعلمون من النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم آيات معدودات : يتفهمون معناها ، ويتعلمون فقها ، ويطبّقونه على أنفسهم ، ثم يحفظون غيرها ، وفي ذلك يقول أبو عبد الرحمن السلمي : « حدثنا الذين كانوا يقرؤنا القرآن : كعبان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرها - أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات ، لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ... قالوا فتعلمنا القرآن والعمل جميعا<sup>(١)</sup> » .

وكان بعضهم يقيم عند الرسول صلى الله عليه وسلم يتعلم أحكام الإسلام وعباداته ، ثم يعود إلى أهله وقومه يعلمهم ويفقههم ، ومن هذا ما أخرجه البخاري عن مالك بن الحويرث قال : « أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون ، فأقننا عنده عشرين ليلة ، فظننا اشتقنا أهلنا ، وسألنا عن تركنا في أهلنا ، فأخبرنا ، وكان رفيقا رحيا ، فقال : « ارجعوا إلى أهلِكُم فمَلِّمُوهُم ومُرُوهُم ، وصلُّوا كما رأيتموني أصلي ، وإذا حضرت الصلاة فليؤدِّنْ لَكُم أحدُكُمْ ، ثم ليؤمِّكُمْ أكبرُكُمْ<sup>(٢)</sup> » .

وكان الصحابة يحرضون على حضور مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٤ ، وأبو عبد الرحمن السلمي هو عبد الله بن حبيب ابن ربيعة أحد كبار التابعين الذين سمعوا من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وزيد بن ثابت توفي سنة ٧٢ هـ وقال البخاري بين سنتي (٧٠ و ٨٠) انظر طبقات ابن سعد ص ١١٩ ج ٦ وتهذيب التهذيب ص ١٨٣ ج ٥ .

(٢) صحيح البخاري بحاشية البندى ص ٥٢ ج ٤ وسنن الدارمي ص ١٤٨ طبعة كاخور سنة

حرصاً شديداً ، إلى جانب قيامهم بأعمالهم المعاشية من الرعي والتجارة وغيرها ، وقد يمسر على بعضهم الحضور ، فيتناوبون مجالسه عليه الصلاة والسلام ، كما كان يفعل ذلك عمر رضى الله عنه ، قال : « كنت أنا وجارلى من الأنصار في بني أمية بن زيد ، وهي من عوالى المدينة ، وكنا تتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينزل يوماً ، وأزل يوماً ، فإذا نزلت جثته بخير ذلك اليوم من الوحي وغيره . وإذا نزل فعل مثل ذلك <sup>(١)</sup> » ...

ويقول البراء بن عازب الأوسى رضى الله عنه : « ما كل الحديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يحدثنا أصحابنا ، وكنا مشتغلين في رعاية الإبل ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسمعون من أقرانهم ، ومن هو أحفظ منهم ، وكانوا يشددون على من يسمعون منه <sup>(٢)</sup> » . وفي رواية عنه : « ليس كلنا كان يسمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت لنا ضيعة وأشغال ولكن للناس لم يكونوا يكذبون يومئذ ، فيحدث الشاهد الغائب <sup>(٣)</sup> » .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : « .. ليس كل ما يحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعناه (منه) ولكن كان يحدث بعضنا بعضاً ولا يتهم بعضنا بعضاً <sup>(٤)</sup> » . وفي رواية عن قتادة أن أنسا حدث بحديث فقال له رجل :

(١) فتح البارى ص ١٩٥ ج ١ .

(٢) معرفة علوم الحديث ص ١٤ .

(٣) الحديث الفاصل بين الراوى والرواى ص ٣٢ — ٣٣ . والجامع لأخلاق الراوى وآداب

السامع ص ١٢ : آ ونحوه في قبول الأخبار ومعرفة الرجال : ٩ و ١٠ .

(٤) قبول الأخبار ص ٩ . أورد أبو القاسم البجلي في الصفحات الأولى من كتابه من

(١ — ٤٦) أخباراً جيدة عن السنة والحديث وسنن الصحابة ثم ما لبث أن قلب ظهر المجن

لهم وبدأ يهاجم في أهل الحديث ، وهو معتزى مشهور وفاته ( ٣١٧ أو ٣١٩ هـ ) وسأعرض

لرد عليه في مواطن أخرى من هذا الكتاب .

سمعت هذا من رسول الله ؟ قال : نعم . أو حدثني من لم يكذب والله ما كنا  
نكذب ولا كنا ندرى ما الكذب (١) .

وكان الصحابة يتذاكرون دائماً ما يسمعون من رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، قال أنس بن مالك : كنا نكون عند النبي صلى الله عليه وسلم فنسمع  
منه الحديث فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه (٢) .

وإلى جانب هذه المجالس ، كان الصحابة يتلقون السنة عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم من وجوه يمكن حصرها فيما يأتي :

(١) حوادث كانت تقع للرسول نفسه ، فيبين حكمها ، وينشر هذا الحكم  
بين المسلمين بمن سمعوه منه ، وقد يكون هؤلاء كثرة تمكنهم كثرتهم من  
إذاعة الخبر بسرعة ، وقد يكونون قلة فيبث الرسول الكريم عليه الصلاة  
والسلام من ينادى في الناس بذلك الحكم .

مثال ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، مر برجل يبيع طعاماً فسأله كيف تبيع فأخبره ، فأوحى إليه أدخل  
يدك فيه ، فأدخل يده ، فإذا هو ملول ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« ليس منا من عَشَّ » (٣) .

ومثال ذلك ما رواه القاسم بن محمد أن عائشة أخبرته : أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم دخل عليها وهي مستقرة بقرام (٤) فيها صورة تماثيل ، فتلون

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع من ١٧ : آ ورواه السيوطي في مفتاح الجنة .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع من ٤٦ : ب

(٣) مسند الإمام أحمد من ١٨ حديث ٧٢٩٠ ج ١٣ باسناد صحيح

(٤) القرام بكسر القاف ثوب من صوف ملون . وهو صفيق ينخذ ستراً وقيل هو الصن

الرقيق وقيل هو ستر فيه رلم وقروش وجه قرم . انظر لسان العرب من ٣٧٤ ج ١٥

وجهه ، ثم أهوى القرام ، فتهتك بيده ، ثم قال : « إن أشد الناس عذاباً يوم  
القيامة الذين يشبهون بحاق الله عز وجل <sup>(١)</sup> » .

وقد يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يسمع صحابياً يخطئ ، ،  
فيصحح له خطأه ، ويرشده ، من ذلك ما رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه  
أنه رأى رجلاً توضاً للصلاة ، فترك موضع ظفر على ظهر قدمه ، فأبصره  
النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ارجع فأحسن وضوءك » فرجع فتوضاً  
ثم صلى <sup>(٢)</sup> .

ومن ذلك ما رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لما كان يوم  
خير أقبل نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : فلان شهيد ،  
فلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد ، فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم : كلاً ، إني رأيته في النار في بردة غلبها أو عباءة ،  
ثم قال صلى الله عليه وسلم : يا ابن الخطاب : اذهب فناد في الناس  
أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون . قال : فخرجت فناديت : ألا إنه لا يدخل  
الجنة إلا المؤمنون <sup>(٣)</sup> .

(ب) حوادث كانت تقع للمسلمين ، فيسألون الرسول عنها ، فيفتيهم  
ويجيبهم ، مبيناً حكم ما سألوا عنه ، من هذه الحوادث ما يتناول خصوصيات  
السائل نفسه ، ومنها ما يتعلق بغيره ، وجميعها من الوقائع التي تعرض للإنسان  
في حياته فترى الصحابة لا ينجحون في ذلك كله ، بل يسرعون إلى المعلم

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ١٢٩ ونحوه في صحيح مسلم ص ١٦٦٢ حديث ٩١ ج ٣

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٢١٤ حديث ١٢٤ ج ١ باسناد صحيح وراه مسلم أيضاً .

(٣) مسند الإمام أحمد ص ٢٤٢ ج ١ ، وإسناده صحيح .

الأول ، ليقفوا على حقيقة تطمين قلوبهم إليها ، وتلج صدورهم عندها . وقد يخجل الصحابي من الرسول صلى الله عليه وسلم فيكلف غيره عبء السؤال ، من ذلك ما يرويه علي بن أوطالب قال : كنت رجلاً مذاءً ، فكنت أستحي أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لسكان ابنته ، فأمرت المقداد بن الأسود<sup>(١)</sup> ، فسأله فقال : ينسل ذكره ويتوضأ<sup>(٢)</sup> .

وروى قيس بن طلق عن أبيه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أو سأله رجل فقال : بينا أنا في الصلاة ذهبت أحك فخذى ، فأصابت يدي ذكرى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل هو إلا بضعة منك<sup>(٣)</sup> ؟ » .

وقد يسألونه صلى الله عليه وسلم عن أخص من ذلك كما روى عروة عن عائشة رضی الله عنها ، قال : جاءت امرأة رفاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن رفاة طلقني ، فأبت<sup>(٤)</sup> طلاق ، فزوجت عبد الرحمن بن الزبير ، وإن ما معه مثل هدية الثوب . فقال : « أتريدن أن ترجى إلى رفاة ؟ لا ، حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلاتك » وأبو بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وخالد بن سعيد ينتظر أن يؤذن له ، فقال : يا أبا بكر ، ألا تسمع ما تنجر به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٥)</sup> ؟

لقد كان المسلمون يسألونه عن أمورهم وأحوالهم ، لا يجيبهم عنه حاجب ،

(١) فتح الباري ص ٢٩٤ ج ١ وصحيح مسلم ص ٢٤٧ حديث ١٧ ج ١ .  
 (٢) مسند الإمام أحمد ص ٣٩ حديث ٦٠٦ و ص ٤٦ حديث ٦١٨ ج ٢ بإسناد صحيح وفتح الباري ص ٢٩٤ و ٣٩٤ ج ١ ، وصحيح مسلم ص ٢٤٧ حديث ١٧ - ١٩ ج ١ .  
 (٣) معرفة علوم الحديث ص ١٣٢ وقال الحاكم . . . لم يذكر الزيادة في حك الفخذ غير عبد الله بن رجاء عن همام بن يحيى وهما ثقتان .  
 (٤) بت وأبت أى طلقني ثلاثاً . وأبت التقطع . ورفاعة للذكور هو رفاة القرظي .  
 (٥) معرفة علوم الحديث ص ١٣٠ وصحيح مسلم ص ١٠٥٥ حديث ١١١ وما بعده ج ٢ .

ولا يمنعهم منه مانع ، لذلك ترى الأعرابي البعيد عنه يسأله كما يسأله الصحابي الملائم له ، كلهم يريدون الحق ، قال علي رضي الله عنه : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنا نكون بالبادية ، فتخرج من أحدنا الرويحة<sup>(١)</sup> ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل لا يستحي من الحق ، إذا فعل أحدكم فليتوضأ ، ولا تأتوا النساء في أعجازهن<sup>(٢)</sup> » .

إن هؤلاء الصحابة الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل هذه الأمور الشخصية التي قد ينجل منها غيرهم ، كانوا لا يحججون عن سؤاله في معاملاتهم وعباداتهم وعقائدهم وسائر أمورهم ، بل إن بعضهم كان إذا وصله خبر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يعود إليه لينهل من معينه ، ويتزود من علمه ، كما حدث لضمام بن ثعلبة وقومه حين جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنطلق ضمام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حوله أصحابه ، فدخل المسجد على جل ، قال أنس : « . . فأناخه في المسجد ، ثم عقله ، ثم قال لهم : أيكم محمد؟ والنبي متكئ بين ظهرائهم . فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكئ . فقال له الرجل (ضمام) : ابن عبد المطلب ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : قد أجبتك . فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إني سألتك فشدد عليك في المسألة ، فلا تجد علي في نفسك . فقال : سل عما بدا لك قال أسألك بربك ورب من قبلك ، آله أرسلك إلى الناس

(١) الرويحة تصغير رايحة وكفى بها هنا عن الريح التي يطلق من البطن عن طريق العرج .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٦٤ حديث ٦٥٥ ج ٢ ( وقال مرة في أديارهن ) .

(٣) انظر معرفة علوم الحديث ص ٥ وقد أخرجه مسلم .

كلهم؟ فقال: اللهم نعم. قال: أنشدك بالله، الله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: اللهم نعم... فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورأى من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر<sup>(١)</sup> ومن ذلك ما حدث لأحد الصحابة حين قيل امرأته وهو صائم، «فوجدت من ذلك وجداً شديداً، فأرسل امرأته تسأل عن ذلك، فدخلت على أم سلمة أم المؤمنين فأخبرتها؟ فقالت أم سلمة: إن رسول الله يقبل وهو صائم. فرجعت المرأة إلى زوجها فأخبرته، فزاده ذلك شراً! وقال: لئن مثل رسول الله، يحل الله لرسوله ما شاء. فرجعت المرأة إلى أم سلمة، فوجدت رسول الله عندها، فقال رسول الله ما بال هذه المرأة؟ فأخبرته أم سلمة، فقال: ألا أخبرتها أني أصل ذلك؟ فقالت أم سلمة: قد أخبرتها فذهبت إلى زوجها فأخبرته فزاده ذلك شراً، وقال: لئن مثل رسول الله، يحل الله لرسوله ما شاء، فضرب رسول الله، ثم قال: والله إني لأتفأكم لله ولأعلمكم محدوده<sup>(٢)</sup> .»

لقد حمله ورعه أن يظن هذا الحكم خاصاً بالرسول حتى أكد الرسول عليه الصلاة والسلام أنه حكم عام.

وقد كانت السيدة عائشة أم المؤمنين لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه<sup>(٣)</sup>.

(١) فتح الباري ص ١٥٩ ج ١ ونحوه في معرفة علوم الحديث ص ٥ .  
 (٢) الرسالة ص ٤٠٤ قرة ١١٠٩ وهكذا الآية ثابتة في الأصل في (أعلمكم).  
 (٣) انظر فتح الباري ص ٢٠٧ ج ١ .



وقد يختص مسلمان في قضية أو حكم ، فيرجعان إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ليفصل بينهما ويبين وجه الصواب . من ذلك ما رواه المشور بن محرمة : أن عمر بن الخطاب قال « سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان ، فقرأ فيها حروفا لم يكن نبي الله صلى الله عليه وسلم أقرأ فيها ، قال : فأردت أن أساوره وأنا في الصلاة ، فلما فرغ قلت : من أقرأك هذه القراءة ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : كذبت والله ، ما هكذا أقرأك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت بيده أقوده ، فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، إنك أقرأتني سورة الفرقان ، وإن سمعت هذا يقرأ فيها حروفا لم تكن أقرأتنيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا هشام ، فقرأ كما كان قرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت<sup>(١)</sup> ثم قال لي : اقرأ ، قرأت ، فقال : هكذا أنزلت . إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فأقروا ما تيسر<sup>(٢)</sup> . »

إن في هذه الأجوبة والفتاوى والأقضية مادة كثيرة في مختلف أبواب كتب السنة ، حتى إنها تؤلف جانبا كبيرا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبعد أن ينسى هذه الحوادث من وقعت له وسأل عنها الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنها جزء من حياة السائل بل واقعة بارزة من وقائع عمره .

(ج) وقائع وحوادث شاهد فيها الصحابة تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذه كثيرة في صلاته وصيامه وحججه وسفره وإقامته ... فنقلوها إلى التابعين الذين بنفوها إلى من بعدهم وهي تؤلف جانبا كبيرا من السنة ، وخاصة

(١) مستد الإمام أحمد ص ٢٢٤ حديث ١٥٨ ج ١ باسناد صحيح .

(٢) مستد الإمام أحمد ص ٢٧٤ حديث ٢٧٧ ج ١ باسناد صحيح ، وليس في هذه الرواية مسأرة عمر لعشام في الصلاة . وأخرج البخاري ومسلم نحوه ، انظر فتح الباري ص ٣٩٩ ج ١٠ وصحيح مسلم ص ٥٦٠ حديث ٢٧٠ ج ١ .

هديه صلى الله عليه وسلم في العبادات والمعاملات وسيرته ... ومن ذلك سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام والإحسان وعلم الساعة، وإجابته صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله، وبعد ما انصرف جبريل النفث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى من حوله وقال: «يا عمر، أتدرى من السائل؟ قال عمر: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم»<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك ما رواه علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أول الليل وآخره وأوسطه فأنهى وتره إلى السحر<sup>(٢)</sup>.  
ومن ذلك أيضا ما رواه سالم بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عمر: أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر يمشون أمام الجنائز<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك ما رواه علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نصلى، إذ انصرف ونحن قيام، ثم أقبل ورأسه يقطر، فصلى لنا الصلاة، ثم قال: «إني ذكرتُ أني كنتُ جنباً حين قُتُ إلى الصلاة، لم اغتسل، فدن وجد منكم في بطنه رزاً»<sup>(٤)</sup> أو كان على مثل ما كنتُ عليه فلينصرف حتى يفرغ من حاجته أو غسله، ثم يسود إلى

(١) شرح الأربعين النبوية ص ١٢ رواه مسلم وانظر فتح الباري ص ١٢٣ - ١٣٢ ج ١  
ومسند الإمام أحمد ص ٣١١ حديث ٣٦٧ ج ١ باسناد صحيح. وكان جبريل عليه السلام قد جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله على هيئة رجل شديد يابس الثياب شديد سواد الشعر لا تظهر عليه علامة السفر قال عمر (ر) ولا يعرفه منا أحد. والحديث مشهور عن عمر رضى الله عنه.

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٦٤ حديث ٦٥٣ ج ٢ باسناد صحيح.

(٣) المرجع السابق ص ٢٤٧ حديث ٤٥٣٩ ج ٦ باسناد صحيح.

(٤) الرز: الصوت الحني ويريد به الممترقة، وقيل هو غمز الحنن وحركته للخروج.

صلاة<sup>(١)</sup>». وما رواه أيضا فقال: كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم<sup>(٢)</sup>».

كما سبق يتضح لنا أن عوامل ثلاثة تضامنت وتضافرت في سبيل حفظ السنة المشرفة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه العوامل هي: شخصية الرسول من حيث هو مرب ومعلم، وفوق هذا، وأكثر من هذا من حيث هو رسول رب العالمين، والسنة من حيث مادتها، والصحابة وهم الطلاب الذين تلقوا السنة وشاركوا في تطبيقها، وتجاوبوا مع المعلم الأول والمادة مخلصين، بقلوب عظيمة انطوت على رغبة ملحة، وإرادة قوية في اتباع ما به يتم إيمانهم، ويقطع صلهم بما كانوا فيه من ضلال. كل ذلك كان له الأثر الكبير في حفظ الصحابة للسنة دقيقها وجليلها، ثم نقلها إلى التابعين الذين نقلوها إلى من بعدهم طبقا لما قاله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «تسمعون ويسمع منكم ويسمع منكم<sup>(٣)</sup>».

ويمكننا أن نقول - ونحن واثقون مطمئنون - إن السنة في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام كانت محفوظة عند الصحابة جنبا إلى جنب مع القرآن الكريم، وإن كان نصيب كل صحابي منها يختلف عن نصيب الآخر، فمنهم الأكثر من حفظها، ومنهم الأقل، ومنهم المتوسط في ذلك. ومن ثم نستطيع تأكيد أنهم قد أحاطوا بالسنة، وتكفلوا بنقلها إلى التابعين.

ويخطئ من يدعى أن بعض السنن فات الصحابة جميعا بعد أن رأينا مدى

(١) مسند الإمام أحمد من ٧٤ رقم ٦٦٨ ج ٢ .

(٢) المرجع السابق من ٢٩ ج ٢ وأسناده صحيح .

(٣) مسند الإمام أحمد من ٣٤٠ حديث ٢٩٤٧ ج ٤ وأنظر الجرح والتهديد من ٨ ج ١ .

عنايتهم بها ، وحرصهم عليها . فكيف يغيب عنهم شيء منها ، وهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا وعشرين عاما قبل الهجرة وبعدها ، حفظوا عنه أقواله وأفعاله ، « ونومه ويقظته ، وحركته وسكونه ، وقيامه وقعوده ، واجتهاده وعبادته ، وسيرته وسراياه ومغازيه ، ومزاحه وزجره ، وخطبه وأكله وشربه ، ومعاملته أهله ، وتأديبه فرسه وكتبه إلى المسلمين والمشركين ، وعهوده ومواريثه ، وألحاظه وأنقاسه وصفاته ، هذا سوى ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة ، وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام أو تحاكموا فيه إليه »<sup>(١)</sup> فكانوا بحق خير خلف لخير سلف رضى الله عنهم .

\* \* \*

#### ٤ — انتشار السنة في عهد الرسول

##### حطيه الصلاة والسلام

انتشرت السنة مع القرآن الكريم منذ الأيام الأولى للدعوة ، يوم كان المسلمون قلة يجتمعون سرا في دار الأرقم بن عبد مناف ، يتلقون تعاليم الدين الجديد يقرءون القرآن ، ويقىمون شعائرهم ، وما لبث النبي عليه الصلاة والسلام أن صدع بأمر الله تعالى ، وكثر المسلمون ، وعم الإسلام الجزيرة العربية ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع مراحل الدعوة يبلغ الناس ، ويفتيهم ويقضى بينهم ، ويخطبهم ويسوسهم في السلم والحرب ، وفي الشدة والرخاء ، ويعلمهم فيحفظون الأحكام ويطبقونها . وقد تضافرت عوامل عدة تكفلت بنشر السنة في الآفاق ، منها :

(١) المدخل إلى كتاب الإكابر في أصول الحديث ص ٢ - ٨ .